

## أضواء البيان

7 ! @ 218 @ 7 ! قوله تعالى : { وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا<sup>١</sup> أَمْرَهُمْ<sup>٢</sup> وَهُمْ<sup>٣</sup> يَمْكُرُونَ<sup>٤</sup> } . لم يبين هنا هذا الذي أجمعوا أمرهم عليه ، ولم يبين هنا أيضاً المراد بمكرهم . ولكنه بين في أول هذه السورة الكريمة أن الذي أجمعوا أمرهم عليه هو جعله في غيابة الجب ، وأن مكرهم هو ما فعلوه بأبيهم يعقوب وأخيهم يوسف . وذلك في قوله : { فَلَمَّ<sup>٥</sup> ذَهَبُوا<sup>٦</sup> بِهِ<sup>٧</sup> وَأَجْمَعُوا<sup>٨</sup> أَنْ يَجْعَلُوهُ<sup>٩</sup> فِي غِيَابَةِ<sup>١٠</sup> الْجُبِّ<sup>١١</sup> } إلى قوله { وَاللَّهُ<sup>١٢</sup> الْمُسْتَعَانُ<sup>١٣</sup> عَلَى مَا تَصِفُونَ<sup>١٤</sup> } . . .

وقد أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم . لأنه أنزل عليه هذا القرآن ، وفصل له هذه القصة . مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن حاضراً لدى أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم على المكر به ، وجعله في غيابة الجب . فلولا أن الله أوحى إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه . .

والآيات المشيرة لإثبات رسالته ، بدليل إخباره بالقصص الماضية التي لا يمكنه على حقائقها إلا عن طريق الوحي كثيرة . كقوله : { وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلَاقُونَ<sup>١٥</sup> أَقْوَامَهُمْ<sup>١٦</sup> أَيْسُهُمْ<sup>١٧</sup> يَكْفُلُ<sup>١٨</sup> مَرْيَمَ<sup>١٩</sup> } . . .

وقوله : { وَمَا كُنْتَ بِرَجَانِ<sup>٢٠</sup> الْغُرُوبِ<sup>٢١</sup> } إِذْ قَضَيْنَا<sup>٢٢</sup> إِلَيْكَ<sup>٢٣</sup> مُوسَى<sup>٢٤</sup> الْأَسْفَلَ<sup>٢٥</sup> } . . .

وقوله : { وَلَكِنِ<sup>٢٦</sup> أَنْشَأْنَا<sup>٢٧</sup> نَا<sup>٢٨</sup> قُرُونًا<sup>٢٩</sup> فَتَطَاوَلَ<sup>٣٠</sup> عَلَيْهِمُ<sup>٣١</sup> الْعُمُرُ<sup>٣٢</sup> وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا<sup>٣٣</sup> فِي أَهْلِ<sup>٣٤</sup> مَدْيَنَ<sup>٣٥</sup> تَتَلَوُ<sup>٣٦</sup> عَلَيْهِمْ<sup>٣٧</sup> آيَاتِنَا<sup>٣٨</sup> وَلَكِنِ<sup>٣٩</sup> كُنَّا<sup>٤٠</sup> مُرْسَلِينَ<sup>٤١</sup> } . . .

وقوله : { وَمَا كُنْتَ بِرَجَانِ<sup>٤٢</sup> الطُّورِ<sup>٤٣</sup> } إِذْ نَادَيْنَا<sup>٤٤</sup> وَلَاقِنَ<sup>٤٥</sup> رَّحْمَةً<sup>٤٦</sup> مِّنْ<sup>٤٧</sup> رَبِّكَ<sup>٤٨</sup> } . . .

وقوله : { مَا كَانَ لِيَ<sup>٤٩</sup> مِنْ<sup>٥٠</sup> عِلْمٍ<sup>٥١</sup> بِالْمَلَكِ<sup>٥٢</sup> الْأَسْفَلِ<sup>٥٣</sup> إِذْ يَخْتَصِمُونَ<sup>٥٤</sup> } . . .

وقوله : { تِلْكَ<sup>٥٥</sup> مِنْ<sup>٥٦</sup> أَنْبَاءِ<sup>٥٧</sup> الْغَيْبِ<sup>٥٨</sup> نُوحِيهَا<sup>٥٩</sup> إِلَيْكَ<sup>٦٠</sup> مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا<sup>٦١</sup> أَنْتَ<sup>٦٢</sup> وَلَا<sup>٦٣</sup> قَوْمُكَ<sup>٦٤</sup> مِنْ<sup>٦٥</sup> قَبْلِ<sup>٦٦</sup> هَٰذَا<sup>٦٧</sup> } . إلى غير ذلك من الآيات . .

فهذه الآيات من أوضح الأدلة على أنه صلى الله عليه وسلم ، رسول كريم ، وإن كانت المعجزات الباهرة الدالة على ذلك أكثر من الحصر . قوله تعالى : { وَمَا يُؤْمِنُ<sup>٦٨</sup> أَكْثَرُهُمْ<sup>٦٩</sup> بِاللَّهِ<sup>٧٠</sup> إِلَّا<sup>٧١</sup> وَهُمْ<sup>٧٢</sup> مُّشْرِكُونَ<sup>٧٣</sup> } . قال ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وعامر

الشعبي ، وأكثر المفسرين : إن معنى هذه الآية أن أكثر الناس ، وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته . . .  
فالمراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم ومدير شؤونهم ، والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه ، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة جداً ، كقوله : { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ رَوْضُ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَيِّتِ